البحث
٦

المجتمع العثمانى خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر
دراسة فى مظاهر ضعف الدولة العثمانية

اعداد

د / ناهد إبراهيم دسوقى

قسم التاريخ - آداب الإسكندرية

المجتمع العثمانى خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر

دراسة فى مظاهر ضعف الدولة العثمانية

مقدمـــة :

بلغت الدولة العثمانية مرحلة متقدمة من التأخر والضعف خلال القرن الثامن عشر ، وقد تعددت كتابات المؤرخين العرب والغربين حول عوامل الضعف والانهيار لهذه الدولة ، ومع ذلك فإن المجتمع العثمانى فى القسطنطينه وضواحيها لم يحظ بالاهتمام والعناية من جانب المؤرخين والدراسين لتاريخ الدولة العثمانية ، ولذلك سأحاول فى هذا البحث القاء الضوء على جوانب هذا الموضوع وبصفة خاصة خلال النصف الثامن من القرن الثامن عشر. لقد توفرت لدى مجموعة من الوثائق البريطانية من أرشيف دار الوثائق البريطانية Public Record Office ، وهى وثائق غير منشورة واشتملت على مراسلات سفراء انجلترا فى القسطنطينيه الى وزارة الخارجية البريطانية فى الفترة من ١٧٨١ الى ١٧٨٧ ، وأخص بالذكر مراسلات روبرت انسلى Robert Ainslie الذى كان سفيرا لانجلترا فى القسطنطنيه فى عهد السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٤ - ١٧٨٩) وكان من المؤيدين له والمدافعين عن سياسته بل وكان بمثابة مستشاره الاول فى العديد من المشكلات التى صادفها مما جعل لأرائه أهمية خاصة[1].

وسيكون التركيز فى هذا البحث على المظاهر السلبية للمجتمع العثمانى خلال هذه الفترة والتى وتمثلت فى سوء الأحوال الاقتصادية وسوء الاوضاع المالية للدولة وانعكاساتها على الأحوال الصحية والمعيشية للشعب العثمانى ، سيكون التركيز ايضا على ظاهرتى الأوبئة والحرائق التى انتشرت بشكل ملحوظ خلال هذه الفترة ونتائجها التى تأثرت بها فئات عديدة فى المجتمع العثمانى. ومن الظواهر التى سيتعرض لها هذا البحث أيضا الغلاء والتمرد الشعبى وانتشار الفساد والرشوة وزيادة ضغوط الانكشارية على السلاطين وعلى اعضاء الجهاز الادارى فى الدولة للحصول على

الأموال ، وسأحاول ايضا ابراز أثر هذه المظاهر السلبية على علاقة الدولة العثمانية ببعض الدول الاوروبية.

نبدأ بالناحية الاقتصادية :

فقد تدهور الاقتصاد العثمانى بشكل ملحوظ منذ القرن السادس عشر نتيجة حركة الكشوف الجغرافية وتحول التجارة العالمية الى أيدى البرتغاليين ثم الى الهولنديين والانجليز بعدئذ[٢]. واذا كانت بعض الأسواق التجارية قد ظلت متواجدة فى الدولة العثمانية فى حلب والقاهرة وبغداد والبصرة ، فقد بدأت هى الاخرى فى التدهور لقلة البضائع الواردة اليها عن طريق الهندوفارس[٣]. وفى خلال القرن السابع عشر تأسست الشركات التجارية الانجليزية والهولندية فى آسيا وتحكمت فى طرق التجارة العالمية وفى نقل الجزء الأكبر من التجارة الاجنبيه[٤]. وقد أدى هذا الوضع الى انكماش حجم التجارة الخارجية العثمانية وبالتالى الى انخفاض عوائد الخزينة السلطانية. وقد ساهم فى هذا الانخفاض أيضا طبيعة الاقتصاد العثمانى التى اعتمدت بصفة اساسية على الواردات الخارجية وعدم الاهتمام بالتصدير الخارجى مما أدى الى تجاوز الواردات للصادرات فى اغلب الاحيان ، ولذلك لجأت الدولة الى الاستدانة لسد العجز المالى[٥].

واذا قارنا هذا الاتجاه الاقتصادى الذى انتهجته الدولة العثمانية باتجاه الدول الاوروبية لوجدنا ان اقتصاد الاخيرة كان يقوم أساسا على التصدير ، ولذلك حقق الاوروبيون اقصى فائدة من العثمانيين وساعدهم على ذلك تمتعهم بنظام الامتيازات الاجنبية Capitulations [٦] التى هى فى الاصل امتيازات تجارية وتحولت بمرور الوقت من هبة أو منحة من السلطان الى معاهدات ثنائية وخاصة فى فترة ضعف الدولة[٧]. وكانت الدول الاوروبية تزيد من ضغوطها على العثمانيين للحصول على المزيد من الامتيازات ، وكان السلاطين مجبرين على الرضوخ حيث كان يصاحب هذه الضغوط التهديد باغلاق الموانىءالتصديرية أمام السفن العثمانية ، وخاصة موانى

منطقة الليفانت أو شرقى البحر المتوسط Levant والتى كانت ذات اهمية خاصة للدولة العثمانية[٨].

ويمكن الاستدلال على التأخر فى مجال التجارة العثمانية من حجم التبادل التجارى العثمانى مع كل من انجلترا وفرنسا ، فلم تزد الصادرات السنوية العثمانية الى فرنسا عن ما قيمته ٣ مليون جنيه استرلينى فى عام ١٧٨٠ [٩]. وفى عام ١٧٩٠ تناقصت الصادرات العثمانية الى انجلترا من ٢,٥ الى ٢ مليون جنيه استرلينى ، ويعد هذا أدنى حد للانخفاض في تجارة الصادرات العثمانية خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر[١٠]. وعلى ذلك قدرت مساهمة الصادرات العثمانية فى التجارة الاوربية خلال هذه الفترة بنسبة ١٪[١١].

وفى مقابل ذلك حققت الدول الاوروبية وعلى رأسها انجلترا اعلى عائد من التصدير الى الدولة العثمانية وخاصة بعد حصولها على امتيازات فى ١٥٨٠ [١٢]. لقد كانت المنسوجات الانجليزية هى الرائجة فى أسواق الليفانت ، وكانت غالبية مصانع النسيج الانجليزية التى تصدر منتجاتها الى هذه الاسواق[١٣] تعتمد على غزول القطن المستوردة من أزمير (سميرنا)[١٤] ، حيث كان ٩٥٪ من صادرات القطن العثمانى تأتى منه وخاصة فى الفترة من ١٧٨٥ الى ١٧٨٧ [١٥] على أن تدفق القطن الامريكى على أوروبا والذى كان أرخص ثمنا وأعلى جودة – كان مسئولا الى حد كبير عن تناقص حجم المبيعات العثمانية ، كذلك كان تعنت شركة الليفانت مع العثمانيين وفرضها شروطا قاسية عليهم مثل عدم شراء القطن العثمانى الا اذا تم تبادل بضائع انجليزية فى المقابل[١٦] من العوامل المساهمة فى هذا التناقص.

وقد ساهم فى انكماش حجم التجارة العثمانية الخارجية أيضا عوامل أخرى خاصة بالزراعة والصناعة ويضاف اليها فقدان الدولة العثمانية اقاليم هامة وغنية كانت تابعة لها مثل منطقة شبة جزيرة القرم وبلغاريا ورومانيا [١٧].

فيما يتعلق بالزراعة العثمانية فقد تميزت بقلة الانتاج والتدهور خلال القرن الثامن عشر لاحجام السلاطين عن محاولة تغير طرق الزراعة التقليدية عند الفلاح وعدم تحديث اساليب الزراعة ، [١٨] وكذلك كان انهيار نظام التيمار Timar System[١٩] الذى كان مسئولا عن النجاح العسكرى للدولة فى عهودها الاولى من العوامل التى ساهمت فى تدهور الزراعة. لقد كان تزايد اعتماد العثمانيين على سلاح المدفعية وتراجع الاعتماد على نظام الفروسية من العوامل التى ساهمت فى انهيار نظام الاقطاع العسكرى وانهيار نظام الاراضى المرتبط به [٢٠] كذلك كان لجوء السلاطين الى انقاص قيمة العملة العثمانية باستمرار له انعكاساته على الوضع المالى لملاك التيمار وعجز الكثيرون منهم عن المساهمة بالرجال والسلاح فى الحملات العثمانية ، وترتب على ذلك ان استردت الحكومة هذه الهبات من الملاك وهاجر أصحابها الى المدن ، وتحولت هذه الهبات بالتدريج الى قادة الانكشارية والى ذوى الخطوة والنفوذ فى القصر السلطانى والى من يستطيع دفع مبالغ مالية كبيرة [٢١] وقد تلاعب قادة الانكشارية فى اصدار وثائق ملكية التيمار وكانت نتيجة ذلك أن دخل هذا المجال عناصر بعيدة كل البعد عن الفروسية ، وأصاب الفساد هذا النظام وراحت ايرادات هذه الاراضى الى جيوب حائزيها[٢٢].

وقد حاولت الحكومة العثمانية البحث عن مخرج لهذا الوضع المتدهور فحولت جزءا كبيرا من اراضى التيمار الى أراضى تستغل مدى الحياة مع دفع الضرائب عنها ، وعرفت هذه الاراضى "بالملكانه" وجعلت لها ديوانا عرف بـ "مالكانه ديوانى" وعرف هذا النظام أيضا بالالتزام مدى الحياة [٢٣] على أن هذا النظام الجديد أدى الى نتيجة عكسية فقد وقع الفلاحون تحت سيطرة طبقة الملتزمين الجدد وتعرضوا للطرد من أراضيهم فى اوقات كثيرة تحت وطأة الضرائب الباهظة التى فرضت عليهم [٢٤] ولاشك أن هجر الفلاحين لاراضيهم كان من العوامل التى ساهمت فى تخلف الزراعة فى الدولة العثمانية[٢٥] .

أما عن الصناعة العثمانية فقد ظلت ملتزمة بنظام الحرف التقليدى المتوارث Cyuilds [٢٦] وظلت اساليبها بدائية جامدة وغير قادرة على الصمود أمام منافسة البضائع الاوربية الواردة من الخارج والتى ازداد تدفقها خلال القرن الثامن عشر نتيجة للثورة الصناعية فى اوروبا [٢٧]. ولم يحاول العثمانيون الاستفاد من الثورة الصناعية وازدياد الطلب على المواد الخام والسلع الاستراتيجية برفع اسعارها ، بل ظلت الاسعار ثابته ولم تفلت هذه الغرض الثمينة من اوروبا وامتصت المواد الخام العثمانية بكميات كبيرة مثل المعادن والقمح والصوف ، وعلى ذلك اصبح من النادر توفر هذه المواد بالداخل مما أدى الى تدهور الصناعة[٢٨]. وبذلك نرى أن التدهور الذى اصاب الصناعة والزراعة العثمانية قد ساهم فى تناقص الصادرات العثمانية والذى كان له انعكاساته على تناقص موارد الخزينة السلطانية.

لقد دفع هذا الوضع الاقتصادى المتردى بعض المؤرخين الغربين الى مهاجمته الاسلام والحضارة الاسلامية والقاء مسؤلية تخلف الصناعة العثمانية بصفة خاصة على نظام الحكم فى الدولة العثمانية الاسلامية ، واكدوا على ان مهام الدولة الاسلامية كانت تنحصر فى :

الادارة والحرب والدين والزراعة ، اما الصناعة والتجارة فقد اصابها الاهمال وتركت لغير المسلمين وبذلك ابتعد العثمانيون عن التقدم الحضارى الغربى فى هذا المجال [٢٩].

ولكن هذا الرأى الذى يؤكد غياب تدخل الحكومة العثمانية فى هذين المجالين بعيد عن الصحة ، فقد كان من المهام الاساسية للحكومة ضمان استقرار اوضاع اصحاب الحرف وضمان وصول المواد الخام اليهم والتحكم فى نظام الاسعار والارباح فى الاسواق ، اى أن الحكومة العثمانية قامت بدور الوسيط بين الصانع والمستهلك[٣٠] ، كذلك كانت غالبية الحرف الصناعية فى الدولة يمارسها مسلمون وذميون معا[٣١].

وخلاصة القول أن التدهور الذى أصاب الناحية الاقتصادية فى الدولة العثمانية أدى الى عجز مالى واضح خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وقد تجلت مظاهر هذا العجز فى عدم مقدرة بعض السلاطين دفع مكافأة ولاية العرش التى كانت تتقاضاها الانكشارية عند جلوس السلطان على العرش [٣٢] ، وبرغم ان هذه المكافأة لم تكن مكلفة الا انها اصبحت تشكل عبئا ثقيلا فى هذه الفترة.

ومن المظاهر الدالة على نقص الاموال فى الدولة مغادرة العديد من السفن التجارية الاوروبية للموانىء العثمانية دون الحصول على مستحقاتها عن حمولاتها ، وقد ذكر أنسلى ذلك فى مراسلاته الى وزارة الخارجية البريطانية ، ففى ٢٠ يناير ١٧٨١ غادرت أزمير ثلاثة سفن تابعة للبندقية وسفينان تابعتان لفرنسا وسفينة تابعة لروسيا دون الحصول على حقوقها ، كذلك رحل عدد من التجار العاملين فى موانى البحر الأسود لقلة السيولة المالية[٣٣].

ومن مظاهر القصور المالى ايضا عجز الحكومة عن دفع رواتب الانشكارية ربع السنوية مما أدى الى تراكمها ، ونتج عن ذلك انتشار القلاقل وعمليات السلب والنهب فى اماكن كثيرة من البلاد[٣٤]. وهناك ظاهرة سلبية أخرى جديرة بالتسجيل وتتصل بالعجز المالى وهى أسراف السلاطين [٣٥] العثمانيين حتى فى أوقات الازمات المالية وعدم محاولتهم الاقتصاد فى النفقات ، فقد ذكرت الوثائق البريطانية حينئذ أن السلاطين كانوا يقومون من حين لآخر بتوزيع الهدايا الثمنية على قادة الانكشارية لاسترضائهم ، وكانت الهدايا عبارة عن سيوف ذهبية وفراء وأجياد أصيلة يقدر ثمن الواحدمنها بـ ١٢٠٠جنيه استرلينى [٣٦] ، وذكر انسلى أن هذه الهدايا كانت تكلف الخزينة السلطانية ما لايقل عن ١٥,٠٠٠ جنيه استرلينى فى كل مرة [٣٧]. كذلك كان السلاطين يقومون بتوزيع الهدايا الثمينة على جميع الاجانب الذين يحضرون الاحتفالات فى القصر السلطانى مهما كان عددهم ، ففى الاحتفال الذى اقيم فى القصر السلطانى فى ٢٨ يناير ١٧٨١ بمناسبة جلوس السلطان على العرش ، تم توزيع حلية على شكل

درفيل البحر مصنوعة من الفضة الخالصة على الجميع [٣٨] وهذا الامر كان لا يمكن الالتفات اليه اذا كانت الفضة رخيصة ومتوفرة الا أن الفضة كانت من المعادن النفيثة أنذاك وكانت قيمتها تجاوز قيمة الذهب [٣٩] كذلك انعم السلطان على سفير البندقية فى الاستانة بهدية ثمنية عبارة عن مجموعة من العصى الثمينة التى قدر ثمن الواحدة منها بـ ٣٠٠جنيه استرليني وذلك بمناسبة انتهاء خدماته فى الدولة[٤٠].

ومن حين لاخر كان السلاطين يقومون بتوزيع هدايا قيمة على الاجانب الذين يؤدون خدمات جليلة للدولة مثل موارجا دوسون Mouradjea D'ohsson [٤١] مترجم السفارة البريطانية الذى كوفيء بمنحة مبلغا ماليا قدر بـ ٢٠٠٠ جنيه استرليني [٤٢] ، وهدية عبارة عن صندوق دخان من الذهب الخالص المرصع بالاحجار الكريمة نتيجة جهوده فى صياغة بنود معاهدة تجارية بين الدولة العثمانية واسبانيا فى عام ١٧٨٢[٤٣].

كذلك ساهمت نساء القصر السلطانى فى هذا الاسراف فكان يسمح لهن بالذهاب الى المتاجر الفرنسية الكبرى فى حى بيرا [٤٤] Pera فى العربة السلطانية الخاصة وشراء ما يلزمهن وما يلزم صديقاتهن من الاثواب الحريرية والحلى الثمينة بغير حدود [٤٥]. وكانت نفقات القصر السلطانى فى تزايد مستمر سواء ما أختص بالسلطان أو بالحريم ، ولم تكن هناك تقارير او سجلات لتسجيل المصروفات ولذلك كان من العسير تقدير الكثير منها بخلاف ما ذكرته الوثائق البريطانية.

وكانت النتيجة المترتبة على الاسراف هى معاناة الشعب العثمانى من الفقر والبؤس وليس أدل على ذلك من كثرة اعداد الشحاذين فى الاستانة وضواحيها بشكل لافت للنظر [٤٦]. وقد علقت د. مارى ملز باتريك Marry, M. Patricke ، وهى من الاجانب الذين أقاموا فى الاستانة لبضع سنوات ، على ظاهرة الاسراف بقولها : "عاش الشرقيون فى الاسراف وسيقضون حياتهم فيه ، وهم يسمعون الانتقاد من الغربيين فيبتسمون ، ويظل الاسراف يستهويهم استهواء غريبا ، وهو علة خرابهم وافلاسهم وسر تأخرهم عن الغرب..... ماذا تقول فى سلطان يحفظ بـ ٦٠٠ جواد فى

اسطبلاته من الخيول الاصيلة العريقة النسب ، وماذا تقول فى سلطان تحت امرته ٢٠٠ سائق ؟ أما سياس الخيول فكانوا بالمئات ، وكل ما نقوله عن هؤلاء السلاطين انهم لا يفهمون شيئا عن الادخار" (٤٧).

وعن الاوضاع التى ساهمت فى زيادة الاوضاع المالية سوءا نهب أموال الدولة وضّنياعها سواء فى العاصمة أوفى الولايات المختلفة ، وقد أوردت الوثائق البريطانية عددا من الشواهد الدالة على ذلك على ان التركيز سيكون على أبرز ههذه الحالات.

فقد استطاع الكسندر إسلانتى Alexander Ispilanti (٤٨) الذى كان حاكما على اقليم الافلاق (ولاشيا) فى عام ١٧٨١ أن يحقق ثروة شخصية ضخمة قدرت بمليون جنيه استرلينى فى وقت قصير ، ولذلك امر السلطان بعزلة من منصبه فورا (٤٩). كذلك قام عارف زاده باشا حاكم الروملى فى عام ١٧٨٢ بسرقة حمولات بعض السفن التجارية الاجنبيه وقدرت قيمتها بمبالغ كبيرة(٥٠). ومن الامثلة الظاهرة قيام بعض أمراء الحج بسرقة الاموال المخصصة لاسترضاء البدو على الطرق (٥١) ، فقد قام طاهر أغا امير الحج الشامى فى ١٧٨٢ بسرقة ثلاثة الاف كيس (الكيس يساوى ٥٠٠ قرش عثمانى) من اموال الحج ، وقد أمر السلطان بقطع رأسه فورعودته من مكه(٥٢).

ومن الامثلة على نماذج نهب الاموال ضياع عوائد الضرائب من التجارة الخارجية حيث أدت عمليات التهريب الواسعة النطاق الى اوروبا الى الابتعاد عن النظم الجمركية المعمول بها فى الدولة ، وأدى ذلك بالتالى الى تضخم ثروات القطاع الخاص واشتغال اصحابها بالمضاربة المالية(٥٣). كذلك لجأ بعض كبار الموظفين فى الدولة لوسائل جديدة لحماية ثرواتهم التى كانوا يفقدونها عند موتهم أو طردهم من الوظيفة ، لجأوا الى جعلها وقفا أهليا وهذا أدى الى تجميد الاموال وتوقف الاستفادة منها فى تحسين اقتصاديات الدولة او التخفيف من أزمتها الاقتصادية (٥٤). كما لا يمكن اغفال قيام اللصوص وقطاع الطرق بقطع الطرق على القوافل التجارية ونهب مامعها فى مختلف الولايات العثمانية فى حلب والاسكندرية وفى الموره وصوفيا وأدرنه وفى

بعض مناطق الدانوب[٥٥] ، وعلى سبيل المثال تسبب قطاع الطرق واللصوص فى البانيا فى الحاق خسائر كبيرة بالقوافل التجارية المارة ببلادهم وتقدم التجار بطلبات للباب العالى لتعويضهم عن خسائرهم [٥٦] أما عن المماليك فى مصر فقد تسببوا فى خسائر كثيرة للخزينة السلطانية بامتناعهم عن ارسال اموال الخزينة السنوية الى استانبول وحجزوها لصالحهم الشخصى ، وكانت الحكومة العثمانية تضطر فى بعض الاحيان الى تحميل بعض الاسر الكبيرة مسئولية ارسال الجزية كما حدث فى عام ١٧٦٧ وتحملت أسرة البكرى هذه المسئولية. ووقع كبار الشيوخ تعهدا بذلك ، وكانت تبلغ ١٢٠٠ كيس عثمانى [٥٧].

ومن الأمور التى أدت الى تفاقم الازمة المالية تبنى عدد من سلاطين القرن الثامن عشر[٥٨] سياسة الاصلاح العسكرى وتحديث القوات المسلحة العثمانية اعتمادا على الخبرات الاوروبية التى كانت تتطلب مبالغ مالية كبيرة ، وقد لاحظ السفراء البريطانيون فى الاستانة هذا الامر ، واعربوا ، عن شكوكهم فى امكانية نجاح سياسة الاصلاح لعدم توفر الاموال اللازمة لها[٥٩].

لقد دفع هذا الوضع المالى السيء للدولة بعض رجال الحكومة العثمانية الى التفكير فى ايجاد حلول لهذه الازمة ومحاولة تدبير ايرادات جديدة للخزينة السلطانية ، فقد اقترح خليل حامد باشا الصدر لاعظم فى عهد السلطان عبد الحميد الاول جمع الجزية من الولايات العثمانية الاوروبية لخمس سنوات مقدما ، ولكن قوبل هذا الاقتراح بالرفض خشية المعارضة الداخلية[٦٠]. وقدم الدفتر دار [٦١] اقتراحا جديدا تضمن الاقتصاد فى النفقات الحكومية وذلك بتوفير البند المخصص للجان والمأموريات الحكومية والتى كانت تكلف الخزينة مايعادل ١٠٠,٠٠٠ جنيه استرلينى سنويا دون أن يستفادمنها بساعة عمل واحدة ، ولكن اعترض بعض الوزراء على ذلك [٦٢].

ولاشك أن انهيار الاوضاع الاقتصادية فى الدولة وما نتج عنه من عجز مالى كان له تأثيره على قطاعات المجتمع الاخرى لعدم توفر الاعتمادات المالية اللازمة

للاعتناء بها؛ ففى المجال الصحى كان انتشار الاوبئة من الظواهر الواضحة بل و المميزة للمجتمع العثمانى فى الاستانة وضواحيها خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر.

لقد ذكرت الوثائق البريطانية والمصادر الغربية المعاصرة شواهد عديدة على حالات انتشار الاوبئة فى اماكن متفرقة والاضرار التى وقعت بسببها ، فقد ذكر انسلى فى رسالته الى وزارة الخارجية البريطانية انه فى خلال شهر يناير ١٧٨١ تفشى الوباء فى الاستانة وضواحيها وكان على شكل حمى حادة وأنه أدى الى وفاة بعض التجار الانجليز المقيمين بها [٦٣]. وفى رسالة أخرى ورد قول أنسلى "أصبح من المعتاد وفاة المئات من السكان خلال شهور الصيف من الاوبئة وأحيانا الالاف فى العاصمة بالذات[٦٤].

ولم يقتصر انتشار الاوبئة على العاصمة فقط بل تعداها الى القرى اليونانية فى سالونيكا وفى المناطق الساحلية بصفة خاصة حيث المناخ الرطب غير المستقر ، ونتج عنها وفاة بعض التجار اليونانين وبعض افراد اسر القناصل الاجانب فى الموانىء [٦٥]. وجدير بالذكر ان وباء سالونيكا استمر لعدة شهور (من مايو الى اغسطس ١٧٨٢) ولم تتخذ الحكومة اية اجراءات لمواجهته أو الحد من انتشاره الى مناطق اخرى [٦٦].

وفى شهر سبتمبر من نفس السنة انتشر الوباء فى ضاحية جالاطه (وهى من الضواحى القريبه من العاصمة) وراح ضحيته اكثر من ٦٠٠ شخص [٦٧].

على أن اكثر حالات انتشار الاوبئة ازعاجا كانت فى باتراس Patras باليونان ، وهى أحد المراكز التجارية اليونانية الهامة وكان بها قنصلية بريطانية ، وقد أدى الوباء الى وفاة مئات الاشخاص وكان من بين الضحايا بعض جنود الانكشارية وسكرتير عام شركة الليفانت البريطانية [٦٨].

ولم تسلم ازمير من الوباء الذى استشرى فيها خلال شهر اغسطس من عام ١٧٨٣ وأصاب العديد من التجار الانجليز [٦٩] وانتشر فى انقره ايضا Angora وكانت مركزا تجاريا هاما وذات صلة وثيقة باوروبا وكان يتم تصدير كميات كبيرة من الصوف الموهير منها الى اسواق اوروبا [٧٠]. وكان انتشار الوباء فى انقره من العوامل التى دفعت الكثير من الانجليز والفرنسيين والروس والهولنديين المقيمين بها الى الهجرة الى المناطق مجاورة نظيفة [٧١]، وفى أحيان أخرى كان الاجانب يلجاون الى التوقع داخل منازلهم ويقطعون صلتهم نهائيا بالعالم الخارجى ، واذا حاولت القطط أو الكلاب دخول منازلهم قتلوها خشية انتقال العدوى [٧٢].

وقد انتشر الوباء فى بيرا ايضا فى نفس الفترة مما أدى الى وفاة اثنين من الاطباء الاجانب المقيمين بها ومترجم السفارة الانجليزية وأحد الموظفين بها ، بينما أصيب بالعدوى جميع افراد اسرة المترجم [٧٣] ، ولم يسلم المبعوث الروسى وأسرته والقبطان باشا [٧٤] من الاصابة بالوباء ولكن تم اسعافهم. [٧٥] وفى بعض الاحيان كان الطقس البارد يؤدى الى انكماش انتشار الوباء ولكن لم تحاول الحكومة العثمانية اتخاذ أية اجراءات للحد من انتشار الاوبئة او مقاومتها برغم تذمر الاجانب المقيمين بها[٧٦].

وقد ترتب على انتشار الاوبئة خلال هذه الفترة نتيجة على درجة من الاهمية وهى تعطيل وسائل المواصلات بين المدن خشية انتشار الوباء كما حدث فى ١٠ نوفمبر ١٧٨٣ حينما توقفت وسائل المواصلات بين بيرا وبقية المدن ، الاخرى وذلك فى اعقاب حدوث حالات وفيات كثيرة بها [٧٧].

وقد اقترح انسلى على الباب العالى [٧٨] انشاء حجر صحى فى الموانىء العثمانية ، وطلب من الحكومة الانجليزية فحص البضائع الواردة اليها من الدولة العثمانية على متن سفن هولندية فحصا دقيقا لانها واردة من مناطق ملوثة [٧٩].

ومن الملاحظ أن الاوبئة امتدت لمسافات بعيدة ووصلت الى سواحل البحر الأسود برغم برودة الطقس هناك ، فقد ذكرت مراسلات انسلى ان الوباء تواجد فى واحد من أهم موانىء البحر الاسود وهو ميناء خرسون Kerson وذلك خلال شهر مايو ١٧٨٤ وكان به العديد من السفن الراسية وعليها عد كبير من المسافرين ومن ثم كانت الخسائر البشرية كبيرة وخاصة بين التجار الفرنسين [٨٠].

ومن الملاحظ أيضا ان انتشار الاوبئة استمر لعدة سنوات ، فلا تكاد تخلو رسالة من رسائل انسلى عن ذكرها فى الفترة من ١٧٨١ الى ١٧٨٧. وذكر انسلى ايضا أن بعض اصحاب المناصب الكبيرة من العثمانيين راح ضحية الاوبئة مثل عبدى باشا رئيس قسم الذخيرة الحربية وحوالى عشرون شخصا من موظفيه كذلك راح ضحيته عدد ضخم من اليهود من سكان خاصكوى - احدى ضواحى الاستانة - فى خلال هذه الفترة [٨١].

وقد ذكر Wood انه فى عام ١٧٨٤ انتشر الوباء فى جزيرة قبرص وراح ضحيته حوالى ثلث السكان [٨٢].

واذا كان انتشار الاوبئة قد نتج عنه قطع طرق المواصلات بين بعض المدن ، فانه أدى أيضا الى تعطل بعض الاعمال الرسمية فى السفارات والقنصليات الاجنبيه نظرا لمرض الموظفين العاملين بها ، وفى بعض الاحيان كان يتم تأجيل بعض الاحتفالات فى القصر السلطانى اما لمرض موظفى القصر الرسمية أو لمرض الاجانب [٨٣].

كذلك ساهم انتشار الاوبئة فى أزمات نقص المواد الغذائية فى العاصمة وضواحيها حيث كانت السفن القادمة الى الموانى العثمانية تضطر - فى اوقات كثيرة - الى الرسو بعيدا عن الموانىء مما كان يترتب عليه التأخير فى تفريغ الحمولات [٨٤].

ولما لم تحاول السلطات العثمانية اتخاذ اية اجراءات صحية او وقائية لمواجهة الاوبئة. كما ذكرنا – اضطر الاجانب المقيمين بها الى اللجوء الى وسائلهم الخاصة لحماية انفسهم مثل وضع معظم المواد الغذائية فى الخل قبل تناولها حتى الخطابات كانت توضع فى الخل ثم تجفف قبل فتحها (٨٥).

وعلى ذلك نرى أن انتشار الاوبئة كان ظاهرة ملحوظة فى مجتمع الاستانة وما حولها خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وأن هذه الظاهرة كانت مؤثرة فى وسائل الاتصال بين المدن وفى ازمات نقص المواد الغذائية ، ويكفى ذلك الانطباع السيء الذى تركته فى نفوس الاجانب المقيمين فى الدولة وانتقادهم لها وتقاعس الجهاز الحاكم عن القيام بواجبه تجاه هذه الظاهرة.

وقد تجلت ظاهرة أخرى سلبية خلال هذه الفترة وهى عدم الاهتمام بالاشراف على نظافة الاغذية وخاصة فى السفارات والقنصليات الاجنبية وحتى فى المطاعم العامة مما كان له أثره فى ظهور العديد من حالات التسمم الغذائى وقد سجلها انسلى فى مراسلاته. على سبيل المثال أصيب المبعوث الروسى وجميع أفراد اسرته بغثيان وألام فى المعدة لعدة ساعات بعد تناولهم وجبة غذاء ، وكان ذلك فى شهر يناير ١٧٨١ ، وقد اكد الاطباء بعد اسعافهم ان هذه حالة تسمم ناتجة عن عدم نظافة أو عية الطعام المستخدمة فى المطابخ (٨٦).

وقد تعرض انسلى نفسه وجميع افراد اسرته لحادث مشابه بعد ذلك بعشرة أيام نتيجة تناولهم طعاما فاسدا (٨٧) ، ثم تكرر ظهور هذه الحالات بين جنود الانكشارية لنفس (٨٨) السبب. وقد تكرر ذكر هذه الحوادث خلال عام ١٧٨٤ وحدثت حالات تسمم بين بعض موظفى السفارة الفرنسية فى استانبول وبين بعض البحارة من البنادقة ، وظهرت حالات تسمم ايضا بين بعض البحارة فى السفن الراسية فى بعض الموانىء العثمانية وكانت كثيرة بصفة خاصة فى السفن الاسبانية (٨٩).

وتعكس هذه الظاهرة عدماهتمام الجهاز الحاكم بالحالة الصحية للشعب العثمانى وعدم وجود رقابة على الاماكن العامة التى تقدم الاطعمة وانعدام الرقابة ايضا فى المصالح الحكومية وفى السفارات والقنصليات الاجنبيه.

وثمة ظاهرة سلبيته أخرى فرضت نفسها على مجتمع الاستانة وما حولها خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر وهى الحرائق التى انتشرت فى اماكن كثيرة وفى فترات متقاربة مما كان له انعكاساته على نواحى أخرى كما سنرى. وقد اوردت الوثائق البريطانية شواهد عديدة على الحرائق ، فقد ذكر انسلى انه فى شهر فبراير ١٧٨٢ وقع حريق كبير فى أحد قصور الاستانة واستمر حوالى أربع ساعات وراح ضحيته بعض الافراد ، وانه نتيجة لتقاعس السلطات العثمانية امتدت النيران الى مناطق مجاورة كانت تضم بعض الاحياء الفقيرة مما زاد فى اعداد الضحايا والمصابين ، وأن الصدر الاعظم انتقل الى مكان الحريق ، بعد فوات الاوان ، وعوض المضارين بتوزيع الملابس والاغطية عليهم (٩٠).

وبعد عدة شهور اندلع حريق أخر كبير فى احد أحياء الاستانة بالقرب من الابراج السبعة (٩١) واستمر حوالى ثمانى ساعات ونتج عنه دمار ١٥٠٠ منزل من منازل الارمينيين الذين شكلوا اغلب سكان هذه المنطقة (٩٢). ثم شب حريق أخر – بعد أقل من خمسة عشرة يوما – فى حى غلاطة أحد أحياء الاستانة الهامة ، وكانت به اغلبية يهودية ، وكادت المنازل ان تتحول الى رماد حيث احترق بالكامل اكثر من ١٠,٠٠٠ منزل الى جانب عدد من المساجد والكنائس والمنشآت العامة (٩٣).

وكما هو ملاحظ أن هذه الحرائق كبيرة وانها وقعت فى فترات متقاربة وخسائرها كانت جسيمة وبرغم ذلك لم تحرك الحكومة العثمانية ساكنا او تحاول اتخاذ اجراءات احتياطية تفاديا لوقوع هذه الحرائق مستقبلا ، وقد دفع هذا الموقف انسلى الى التعليق بقوله :

"سيلحق الدمار التام بالقسطنطينيه وضواحيها اذا لم تتحرك الحكومة وتتخذ الاحتياطات اللازمة لمقاومة هذه الحرائق" (٩٤).

وجدير بالذكر ان ما قمت بالتركيز عليه هو اخبار الحرائق الكبيرة فقط ، اما الحرائق الصغيرة فقد كانت كثيرة ولا تخلو منها غالبية مراسلات هذه الفترة ، فقد ورد فى مراسلات انسلى التى اختصت بالفترة من يولية الى ديسمبر ١٧٨٢ شواهد ، على أكثر من خمسة وعشرين حريقا صغيرا فى اماكن متفرقة حول الاستانة ، وكان من العوامل المساعدة على سرعة انتشارها ان المنازل كانت مبنية بالاخشاب وان الطرقات بين المنازل كانت ضّيقة(٩٥). وقد ظهر اهمال الجهاز الادارى فى انقاذ الاهالى مما اضطر الكثيرون منهم الى القاء انفسهم فى البحر تخلصا من النيران وخاصة فى الاحياء الفقيرة المزدحمة (٩٦).

ومن الشواهد التى تؤكد عدم عناية السلاطين بوسائل الامان فى المدن والقرى ان الحرائق امتدت الى بعض المناطق التى كان من المفروض ان تكون محل عنايتهم مثل مدينة بشقتاش Beshiktash التى كانت المكان المفضل لدى السلاطين لقضاء فصل الصيف لموقعها على البوسفور فقد دمرت الحرائق أكثر من ٥٠ منزلا بها ، وقد اثار ذلك هياج العامة وتطلب الامر تدخل قوات الشرطة لتهدئه الموقف وكان ذلك فى شهر يولية ١٧٨٢ (٩٧). ومن المناطق التى تماثل بشقتاش منطقة جيبالى Gebale التى تميزت باحيائها السكنية الفاخرة وقصورها المنيفة ، فقد اشتعلت بها النيران ايضا ، وادت الى وقوع خسائر بشرية كبيرة والى دمار واسع النطاق. فقد ذكر انسلى بخصوص حريق جيبالى ، ان النيران امتدت لمسافة ثلاثة اميال حتى وصلت الى أجزاء قريبة من الاستانة ودمرت حوالى ٧٠,٠٠٠ منزلا بلغ عدد سكانها حوالى ٢٠٠,٠٠٠ نسمة ، وتعرض اكثرهم للموت او للاصابة الخطيرة ، ولحسن الحظ لم تقترب النيران من الحى الذى كان يقع به الباب العالى والقصر السلطانى (٩٨) . أما عن الاماكن الهامة التى شملها الحريق فكانت ثكنات الانكشارية وحوالى ٥٠ مسجدا و ٣٠٠ مسطحنا للحبوب ، وكانت جميعها ممتلئة بالطحين ، وحوالى ٢٠٠ مخبز عمومى ،

وتعرضت كلها للدمار التام[٩٩]. ويعد هذا من أكبر الحرائق التى تعرضت لها البلاد خلال عام ١٧٨٤ ونتج عنها تعطيل جميع دواوين الدولة لمدة اربعة ايام [١٠٠].

ومن الحرائق الكبيرة التى شبت فى نفس العام (١٧٨٤) حريق أزمير الذى تركز فى حى اليونانيين ودمرما يقرب من ١٥٠٠ منزل وعدد كبير من حوانيت صغار التجار[١٠١].

وكان لظاهرة انتشار الحرائق أثارها على المجتمع العثمانى فى العاصمة وضواحيها ، فبالاضافة الى الدمار والخراب الذى خلفته ادت الى الغلاء وارتفاع تكاليف المعيشة نتيجة تلف المحاصيل وخاصة الحبوب والخضروات والفاكهة ، وزاد من سوء الاوضاع محاولة بعض التجار استغلال هذه الظروف لصالحهم برفع اسعار المواد الغذائية الى الضعف واحيانا الى ثلاثة اضعاف. وسجلت الوثائق البريطانية تزايد شكوى العامة من الغلاء مما أدى الى تحرك الصدر الاعظم فقام بحركة تطهير للعاصمة والقى القبض على بعض هؤلاء المستغلين وسجنهم [١٠٢]. وكانت اكثر الفئات معاناه هم أصحاب الدخول الثابته من موظفى الجهاز الحكومى ، ولذلك كان من الامور الواضحة خلال هذه الفترة تزايد حالات الرشوة فى الجهاز الادارى مما يدعم الرأى القائل بان موظفى الحكومة لجأوا الى مواجهة الغلاء بيع خدماتهم لمن يدفع اكثر [١٠٣].

وكان من نتائج انتشار الغلاء نقمة الشغب على اختلاف طبقاته على الجهاز الحاكم وظهور عصابات السرقات وكثرة ثورات الجائعين وتزايد اعداد الفقراء بشكل لافت للنظر وبصفة خاصة فى العاصمة ، وكثيرا ما كان يقوم هؤلاء الفقراء باغارات على الحوانيت والمنازل لنهبها وفى اوقات كثيرة حدث صدام بينهم وبين الشرطة ، وفى غالب الاحيان كان منزل امين الخزينة هو الهدف وكثيرا ما تعرض عدد من اتباعه للقتل [١٠٤]. ومن مظاهر السخط على الجهاز الحكومى التهديد بقتل الوزراء

وتوزيعها فى مساجد

ى قيام الصدر الاعظم
) والجاوش باشى (١٠٧)

واصدار الوعود بالسعير الورارى الوسيك . ، وبحس هذه الاجراءات لم تفلح فى امتصاص غضب العامة ولا فى الحد من ظاهرة ارتفاع الاسعار للمواد الغذائية التى اضربّ بغالبية فئات المجتمع العثمانى.

وقد زادت حدة المعارضة الشعبية العثمانية للحكومة العثمانية واتخذت شكلا جديداً وهو محاولة احراق الاحياء التى كان يسكنها الاجانب مثل بيراوجا لاطة اكثر من مرة (١٠٩).

وحينما تزايدت احتجاجات الاجانب المقيمين فى الدولة على هذه التصرفات، قام السلطان باصدار فرمان فى ١٠ سبتمبر ١٧٨٤ بعزل عزت باشا الصدر الاعظم وارسالة الى احد الابراج السبعة وتم كذلك عزل الدفتردار ، ثم تقرر فى وقت لاحق ارسال الصدر الاعظم الى المنفى واعدام شنقيقة بعد ثبوت تقصيرهما فى مواجهة الحرائق الاخيرة (١١٠). وبرغم اهتمام الدفتردار الجديد وارسالة الامدادات الى الفقراء الذين اضيروا من الحرائق والغلاء وخاصة فى القرى الا أن ذلك لم يمنع نشوب ثورة جديدة وكانت من جانب الانكشارية هذه المرة ، فقد اقاموا مذبحة لعدد من رجال الدين (العلماء) المؤيدين للصدر الاعظم السابق والذين كانوا يطالبون بعزل السلطان (١١١).

أما الصدر الاعظم الجديد فقد حاول احتواء الموقف والقضاء على نقص الحبوب الذىكانت تعانى منه الاستانة وضواحيها من جراء الحرائق الاخيرة ، بأن ارسل عدداً من السفن العثمانية الى سواحل اليونان والمورة والبحر الاسود طلبا للقمح ، حاولت الحكومة جاهدة تدبير الاموال اللازمة لذلك (١١٢).

ويلاحظ أن الحكومة العثمانية لم تتحرك لسد النقص من الحبوب الا بعد تجدد القلاقل من جانب العامةوالانكشارية على السواء ، وقد اضاف ذلك عبئا جديدا على الخزينة السلطانية ، فقد تكلف القضاء على تمرد الانكشارية وحدها فى عام ١٧٨٣ حوالى ١٥ الف جنيه استرلينى (١١٣) . ومن الأمور الجديرة بالملاحظة أن ثورات العامة كانت تتسم بالعنف ، فقد ورد فى مراسلات انسلمى حول هذه الثورات ما يفيد انهم اشعلوا النيران فى بعض منازل الاستانة وبعض القصور السلطانية احتجاجاً على نقص الحبوب ، وان غالبية هذه المنازل والقصور تحولت الى كومة من الرماد ، وتوفيت الاميرة ربيعة ابنة السلطان خلال هذه الاحداث وكانت تبلغ من العمر أربعة عشرة شهرا ، وقد حزن السلطان على فقدها كثيرا ، وتعد العاشرة من المتوفين من ابناءه وبناته الذين بلغ عددهم اربعة عشر (١١٤) .

ولم تقتصر ثورات العامة على الاستانة وحدها بل امتدت الى أحياء سكوتارى وباتراس باليونان ، وشملت مختلف الولايات العثمانية الاوروبية والاسيوية والافريقية ومختلف المناطق الواقعة على سواحل البحر الأسود ، وكانت مصر من ابرز الولايات العربية التى تعرضت لنقص حاد فى الحبوب وقامت بها بعض الثورات المعبرة عن ذلك(١١٥).

ومن المظاهر السلبية المميزة للمجتمع العثمانى خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر تزايد ضغوط الانكشارية على السلاطين والصدور العظام للحصول على المزيد من الامتيازات. وكما هو معلوم ان مرتبات الانكشارية فصلية ولكن فى فترات الازمات المالية كانت الدولة تعجز عن دفع مرتباتهم مما أدى الى تراكمها وهذا دفعهم الى اشعال الثورات ، والحرائق من اماكن كثيرة ، (١١٦) . فبعد توقيع معاهدة كوتشوك قتينارجة Kutchuk Kaynarja (١١٧) بين الدولة العثمانية وروسيا فى ١٧٧٤م كانت الدولة العثمانية ملزمة بدفع غرامة حربية سنوية لروسيا قدرها ١٥ ألف كيس ، تنفيذا لاحد

البنود السرية بالمعاهدة ، فعجزت الخزينة عن الوفاء بمتطلبات الانكشارية. (١١٨) ولم يكتف الانكشارية باشعال الحرائق والثوارت بل قدموا عريضة طلبات مالية اضافية الى الباب العالى فى شهر سبتمبر ١٧٨٣ ولما قوبلت هذه العريضة بالرفض ثاروا وتمردوا، فصدرت الاوامر السلطانية باعدام ٥٠٠ جندى منهم ، وحاول الكثيرون منهم الهرب ، وألقى الاخرون بانفسهم فى البحر وماتوا غرقا (١١٩) .

وتعد هذه أحد الامثلة على محاولة السلاطين السيطرة على طغيان الانكشارية.

ومن مظاهر ضغوط الانكشارية فى هذه الفترة أيضا الامتناع عن تنفيذ أوامر السلطان بالخروج للقتال ، فحينما صدرت أوامر الاغا اليهم فى شهر مارس ١٧٨٥ بالتوجه الى البوسنة للقضاء على الفتن الى انتشرت بها تقاعسوا ورفضوا تلبية النداء بحجة ضآلة روابتهم (١٢٠)، وبذلك تحولو الى مجرد عناصر مثيرة للفتن. واتخذ تمرد الانكشارية شكلا اخر فى هذه الفترة ، فكثيرا ما كانوا يتجمهرون فى العاصمة مطالبين بالافراج عن بعض زملائهم المسجونين ، واذا لم يتم اجابة مطلبهم عهدوا الى الهياج والتمرد. ومن أساليب الانكشارية ايضا شن الغارات على سكان المدن بين الحين والاخر واعمال السلب والنهب فى منازلتهم وحوانيتهم ، كما حدث بالنسبة لسكان لمنوس Lemnos – وهى احدى جزر بحر ايجه – وأزمير حينما شنت الانكشارية هجوما ضاريا عليهما وقتلوا خمسة وعشرين شخصا من السكان فى شهر ديسمبر ١٧٨٤ (١٢١) . على أن اخطر الاساليب التى لجأت اليها الانكشارية هى التحالف مع بعض الثائرين على الدولة مثل باشوان أوغلى Pashwan Oglu الذى شق عصا الطاعة على الحكومة المركزية واتخذ من ولاية وادين فى بلغاريا مقرا له ، وضم حوله قطاع الطرق والانكشارية المتذمرين ، وجردت الدولة عليه قوات جرارة ولكنه انتصر عليها بفضل تدعيم الانكشارية له ، وكانت النتيجة هى موافقة السلطان على منحة حكم وادين طوال حياته (١٢٢).

واذا تعرضنا لموقف الحكومة المركزية من ثورات الانكشارية لوجدناه تميز بالضعف والتراخى والعجز ، فبرغم ان هذا الموضوع نوقش فى جلسات الديوان السلطانى اكثر من مرة ، وبرغم ان الصدر الاعظم اقترح تكوين فرق لمراقبة

الانكشارية ورصد تحركاتهم فى محاولة لوضع حد لتصرفاتهم الشائنة الا أن ذلك لم يكن له تأثير يذكر [١٢٣].

وعلى ذلك نرى أن الانكشارية التى كانت أحد الاعمدة التى قامت عليها عظمة الدولة العثمانية فى عهودها الاولى تحولت الى معول هدم وساهمت فى تخلف الدولة وانهيارها.

واذا انتقلنا الى نقطة اخرى وهى بيان تأثير هذه الاوضاع الداخلية المتردية على علاقات الدولة العثمانية ببعض الدولة الاوروبية وخاصة روسيا لوجدنا ذلك واضحا من خلال وثائق هذه الفترة ، فقد استغل الروس فرصة تحلل الدولة وعجز السلاطين عن تصريف شئونها الداخلية وقاموا بضم شبه جزيرة القرم اليهم بصفة نهائية فى ١٧٨٣[١٢٤].

أما ،البنادقة والمالطين فقد زادوا من حدة هجمات القرصنة [١٢٥] على السفن العثمانية المحملة بالبضائع والمواد الغذائية مما كان له اثره فى زيادة حدة الازمات الداخلية ، ففى خلال شهر يناير ١٧٨٤ اعترض القراصنة البنادقة طريق عدد من السفن العثمانية القادمة من ميناء مارسيليا فى طريقها الى أزمير وكانت محملة بالمواد الغذائية وسرقوا حمولاتها مما كان له أثره فى معاناة سكان العاصمة من نقص الغذاء[١٢٦]. وذكر انسلى انه فى نفس السنة كانت حوالى ٤٠ سفينة عثمانية وعدد من القوارب الكبيرة قادمة من أسيا ومن الدانوب ومحملة بالقمح وبالمواد الغذائية لانقاذ العاصمة من اثار الحريق المدمر السابق ذكره فاعترضها القراصنة المالطيون مما ترتب عليه تأخر تفريغ حمولاتها وازدياد الهياج من جانب العامة[١٢٧].

وقد ساهمت روسيا أيضا فى مضايقات السفن العثمانية فى البحر الأسود ووصل الامر الى حد فتح نيران مدافعها على بعض هذه السفن لمنعها من المجىء الى هذه المناطق ، وقد تقدم اصحاب هذه السفن بالشكوى اكثر من مرة للباب العالى وذلك خلا

عامى ١٧٨٣ ، ١٧٨٤ ولم يفعل اكثر من وعدهم بالنظر فى الامر (١٢٨). وقد دفع هذا الامر ان اقترح أحد مستشارى السلطان انشاء قوات عسكرية عثمانية لحماية السواحل وتحصيناتها وخاصة عند المداخل مضيقى البوسفور والدردنيل (١٢٩) ، وقد اقتنع السلطان بهذا الاقتراح ووافق عليه ، ووصنعت وحدات من الاسطول العثمانى فى منطقة الارخبيل (جنوب بجرايحة) وعند المضايق ولكن هذه الحراسة لم تستمر الا لفترة قصيرة خلال عام ١٧٨٥ لانها شكلت عبئا اضافيا على الخزينة السلطانية (١٣٠) .

والان ، وبعد أن استعرضنا هذه الظواهر السلبية التى كان عليها المجتمع العثمانى خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر نستطيع ان نستخلص عدة نتائج هى :

أولا : أن الانهيار الاقتصادى ، والعجز المالى وانتشار الاوبئة والحرائق وغلاء المعيشة وتزايد ضغوط الانكشارية وثورات العامة كلها عوامل داخلية ساهمت فى انهيار الدولة العثمانية وزادت من الام رجل اوروبا المريض Thesick man of Europe كما اطلق عليها القصير الروسى نيقولا الاول.

ثانيا : ان عجز السلاطين عن مواجهة الازمات العديدة التى وقعت خلال هذه الفترة كان واضحا ، وهذا من الامور التى جعلت الدول الاوروبية توجه الانتقادات الى السلطان والى الجهاز الادارى وتفقد الثقة فى امكانية نجاح سياسة الاصلاح او بقاء الدولة.

ثالثا : ان معاناة الشعب العثمانى بصفة خاصة فى العاصمة وضواحيها والاضطرابات التى انتشرت للتعبير عن هذه المعاناة كانت جلية خلال هذه الفترة وكانت من العوامل التى اكدت على أن هذه الدولة تسير بخطى سريعة نحو الانهيار.

رابعا : ان العاصمة العثمانية وضواحيها كانت تموج بالفتن والاضطرابات وعدم الاستقرار وتعد هذه سمة للمجتمع العثمانى خلال هذه الفترة ، ويمكن ان تضاف الى العوامل التى ساهمت فى ضعف وانهيار الدولة العثمانية.

الهوامش

١- Dictionary of National Biography, Vol.I, London 1917, P 189.

٢- Lewis, Bernard, The Emergence of Modeern Turkey, Britain 1962, P28.

٣- Lewis, Op-cit, PP 28 - 29

٤- عبد الوهاب بكر، الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٣٩ : Lewis, Loc - cit

٥- Wallerstein, I Mmanual, The Incorporation of the Ottoman Empire into world Economy, England 1987, P92.

٦- تعد معاهدة الامتيازات الكبرى التى وقعها السلطان سليمان القانونى مع فرنسوا الاول ملك فرنسا فى ١٥٣٥م أهم هذه المعاهدات ، وكانت معاهدة للتعاون والصداقة ضد الهابسبرج ، ولكن الفرنسين حصلوا بمقتضاها على حقوق ومزايا عديدة مثل حرية الملاحة فى المياه الاقليمية للدولة العثمانية وتحديد الرسوم الجمركية واعفاء الرعايا الفرنسيين من دفع أية ضريبة وعدم الخضوع للقضاء العثمانى ومحاكمتهم فى القنصليات الفرنسية ، وتمكن الفرنسيون من التغلغل بسرعة داخل الدولة العثمانية واقاموا مراكز تجارية لهم فى سورية ومصر ، ثم حذت انجلترا حذو فرنسا وعقدت معاهدة امتيازات مماثلة مع الدولة العثمانية فى ١٥٨٠م ، ثم هولندا فى ١٦١٢م انظر: عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربى (١٥١٧ - ١٩١٩) ، الاسكندرية ١٩٩٤ ـ صـ ٦١-٦٢.

٧- Inalcik, Hlalil, The Turkish Impact of the Development of Modern Europe, Leiden 1974, P15 :عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر ، دمشق ١٩٦٨ ، صـ ٧٠.

٨- Inalcik, Loc - Cit

٩- Issawi, Charles, The Ottoman Empire in the European Economy, Leiden 1974, P113.

١٠- Issawi, Op-cit, P114 : Anderson, M.S., Europe in the Eighteenth Century, London 1987, P322.

١١- Issawi, Op-cit, P115

١٢- Anderson, Op-cit, P323

١٣- Inalcik, Op-cit, P57, : Sunar, Ulkay, State and Economy in the Ottoman Empire, London 1987, P72.

١٤- تعتبر أزمير أهم مدينة تجارية تركية فى آسيا ، وقد بلغت اهميتها التجارية الذروة فى القرن السابع عشر حينما تزايدت عمليات تصدير القطن والفاكهة والحبوب منها ، لذلك استقر بها الاف التجار الانجليز والهولنديين فى أحياء خاصة بهم ، وتمتعوا بحرية كاملة كما لو كانوا فى اوطانهم. أنظر :

١٥- Mordtman, J.H, (Izmir), Encyclopedie de, l'slam, Leyde 1927, Tome II, PP.604 - 605.

١٦- Wood, Alfred, Ahistory of the Levant Company, London 1964, PP.. 7-0-3.

١٧- استقلت شبه جزيرة القرم عن الدولة العثمانية عقب معاهدة كوتشوك قنيارجة ١٧٧٤ بينها وبين روسيا مع بقاء السيادة الروحية للسلطان العثمانى عليها ، ثم استولت عليها روسيا بصفة نهائية فى ١٧٨٣م.

أما رومانيا فقد استقلت عن الدولة العثمانية فى اعقاب الثورة البلقانية التى نشبت فى ١٨٧٥ واعترف مؤتمر برلين ١٨٧٨ بهذا الاستقلال بشكل نهائى. وقسمت بلغاريا فى هذا المؤتمر الى قسمين ، ثم التأم القسمان بعد ذلك بسبع سنوات واستقل بها الأمير فردنياند. وهذه المناطق غنية بالثروات الطبيعية والزراعية. أنظر :

عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، القاهرة ١٩٨٢ ، جـ٢ ، صـ ١١٠٠ - ١١٠٤.

١٨- Lewis, Op-cit, P30 : Ulkay, Op-cit, P71.

١٩- التيمار هو اقطاع يمنح للفرسان وفق نظام الفروسية الاقطاعية الذى اتبعته الدولة العثمانية ، ويقومون باستغلاله مقابل تلبية داعى القتال ، وقسمت هذه الاقطاعات الى ثلاثة فئات : أ- التيمار وعرف صاحبه بالتيمارجى ب- الزعامت وعرف صاحبه بالزعيم جـ- الخاص وهو أكبر من التيمار والزعامت وغير خاضع للتفتيش. أنظر : عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق ، صـ ٥١ - ٥٢ : جب ، بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ١٩٧١ ، حـ١ ، ص٦٧ - ٨٢.

٢٠- Itzkowitz, Norman, Ottoman Empire and Islamic Traditions, Chicago, 1980, P90.

٢١- Karpat, Kemal, The Stages of Ottoman History, Leidem 1974, P80

٢٢- عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق - صـ ٤٧ : كارل بروكلمان ، الاتراك العثمانيون وحضارتهم ، ترجمة نبيه فارس ، منير البعلبكى ، بيروت ١٩٤٩ ، صـ ٧٨.

٢٣- عن الفارق بين التيمار والمالكانه، انظر : محمود رئيف افندى ، التنظيمات الجديدة فى الدولة العثمانية ، عربة وحققه وقدم له د. خالد زيادة ، لبنان ١٩٨٥ ، صـ ٣٤ : جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ ، صـ ٨٤ : حسين مجيب المصرى ، معجم الدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٨٧ ، صـ ١٨٢.

٢٤- Itzkowitz, Op-cit, P91 : Lewis, Op-cit, P33

٢٥- حول الزراعة فى الدولة العثمانية انظر : جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ٢ ، الفصل الخامس.

٢٦- حول نظام طوائف الحرف الدولة العثمانية ، أنظر : جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ من صـ ١٢٠ الى صـ ١٤٦.

٢٧- Lewis, Op-cit, P34 : Itzkowitz, Op-cit, P94

٢٨- عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق ، ص ٤٤ : Kinrossl, Lord, The Ottoman Centuries, Newyork, 1977, P285 .

٢٩-

٣٠- Lewis, Loc - cit

٣١- عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق ، ص ٤٣ : Orhan, Op-cit, P 234.

٣٢- جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ١ ، ص ١٣٧.

يعتبر السلطان سليم الثانى (١٥٦٦ - ١٥٧٤) أول من قدم الهدايا والرشاوى بمناسبة توليه العرش وعرفت بـ (جلوس بقشيش) ، ومنح الانكشارية أيضا علاوات لترغيبهم في نظامه مؤسسا بذلك هذه السابقة فى التاريخ العثمانى. انظر : محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ١٩٨٨ ، صـ ٣٤١ : عبد العزيز الشناوى ، المرجع السابق ، حـ١ ، صـ ٤٩٥.

٣٣- Ainslie to secretary of state, 20 jamany 1781, Constantinople, Turkey 78 1/50, in F - O.

٣٤- حول الانكشارية وثوراتها انظر : عبد العزيز الشناوى ، المرجع السابق ، حـ١ ، صـ ٤٧١ - ٥٣٢.

٣٥-

٣٦- Ainslie to Sect of state, Loc - Cit.

Ainslie to sect of state, 28 january 1781, Const Turky 78, 1/50 in F.O.

٣٧- Ainslie to Sect of state of state, 24 june 1782, Const.

يرى كثير من المؤرخين أن اسراف السلاطين العثمانية فى هذه الفترة كان يرجع الى اسباب نفسيه كمحاولة لاظهار الاستعلاء العثمانى واخفاء عوامل الضعف. انظر :

جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ١ ، ص ١٥٢.

٣٨- Ainslie to sect of state, 28 janury 1781, Const.

٣٩- برغم تدفق الفضة الامريكية النفيسة على اوروبا خلال القرن الثامن عشر الا أن الحكومة العثمانية فشلت فى الحصول على نصيب مناسب منها ، بخلاف الفضة الرخيصة ، لذلك كانت الفضة ، العثمانية الخالصه أغلى من الذهب.
انظر : عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق ، ٣٩ - ٤٠ .

٤٠- Ainslie to sect of state, 11 february 1782, Const.

٤١- موراد جادوسون ارمنيني عمل كمترجما للسفارتين السويدية والانجليزية فى استانبول فى فترات متلاحقة ، وكان من الشخصيات التى طالبت بالاصلاح فى الدولة العثمانية وقدم تقريرا مطولا فى هذا الصدد للسلطان سليم الثالث (١٧٨٩ - ١٨٠٧) ، وله مؤلف ضخم يقع فى تسعة اجزاء عن التنظيمات العثمانية الداخلية بعنوان :
Tableau Général del Empire ottoman, 9 tomes, Paris 1791.
أنظر : ناهد ابراهيم دسوقى ، محاولات الاصلاح فى عهد السلطان سليم الثالث واثر الغرب الاوروبى فيها(١٧٨٩ - ١٨٠٧) ، رسالة دكتوراه غير منشوره ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٨١.

٤٢- Ainslie to Sect of state, 24 june 1782, Const in F-O.

٤٣- Ainslie to Sect of state, 25 september 1782, Const in F-O.

٤٤- بيرا هى احدى ضواحى استانبول ومقام غالبية سفراء الدولة الاجنبية وفيها المخازن والمتاجر والبنوك الاجنبيه : Nou veau Petit Larousse, Paris, 1978, P1106.

٤٥- مارى ملزباتريك ، سلاطين بنى عثمان ، صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعى السياسى الاسلامى ، ترجمة ؟ بيروت ١٩٨٦ ، صـ ٧٦.

٤٦- مارى ملز ، المرجع السابق ، صـ ٦٢.

٤٧- مارى ملز ، المرجع السابق ، صـ ٤٩.

٤٨- الكسندر إسيلانتى من أسرة اغريقية من حى الفنار بالقسطنطينة ، وكان افرادها حكاما على الافلاق والبغدان (رومانيا حاليا) وحملوا القب هسبودار Hospodar. وقد خدم الكسندر فى الجيش الروسى وانتهى حكم هذه الاسرة فى

اواخر القرن التاسع عشر بحصول رومانيا على استقلالها – انظر :
Kinross, Op-cit, PP.442-443.

٤٩- Ainslie to Sect of state, 20 January 1781, Const, in F-O.

٥٠- Ainslie to sect of state, 10 february 1782, Const in F-O.

٥١- كان البدو أو العربان يقومون بهجمات متكررة على قوافل الحجاج على الطرق البرية وكانوا يسرقون امتعة الحجاج وكثيرا ما كانوا يقتلونهم لذلك كان السلاطين يخصصون أموالا لاسترضاء زعمائهم وكانت ترسل مع امير الحجج المكلف بحراسة القافلة. أنظر : عبد العزيز الشناوى ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، صـ ١٢٣١.

٥٢- Anislie to Sect of state, Lo-cit

عبد الكريم رافق ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٩.

٥٣- عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق ، صـ ٤٠ – ٤١.

٥٤- عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق ، نفس الصفحة.

٥٥- Ainslie to Sect of state, 10 june 1782, Const, in F-O.

عن قطاع الطرق واللصوص وغاراتهم فى الولايات العثمانية الاوروبية والاسيوية أنظر : Jonquiere, V,Histoire de L'Empire Ottoman,

Pairs1881, PP 312-315

٥٦- Ainslie to Sect of state, 25 september 1782, Const, in F-O.

٥٧- عبد العزيز الشناوى ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ ١٥٤٥.

٥٨- من السلاطين الذين اهتموا بالاصلاح العسكرى مصطفى الثالث (١٧٥٧ – ١٧٧٤) وقام باصلاحات واضحة فى البحرية العثمانية وسلاح المدفعية بمعاونة البارون دى توت ، والسلطان عبد الحميد الاول الذى استقدم الخبراء الاوربيين الى الدولة العثمانية بكثرة من اجل تنفيذ سياسة الاصلاحية – أنظر: ناهد ابراهيم دسوقى ، المرجع السابق ، القسم الثانى من الفصل الأول.

٥٩- Ainslie to Sect of state, 10 january 1785, Const, in F-O, 78/1/50

٦٠- Ainslie to sect of state, Loc-cit.

٦١- الدفتردار هو الشخصى المختص بحفظ الدفاتر والسجلات التى تبين موارد الخزينة العامة المنصرف منها والمحافظة على ما تبقى فيها وكيفية الحصول على موارد أخرى حين يطرأ عجز ، وكان تحت يده عدد من الموظفين ، وسكرتارية وله محكمة خاصة تفصل فى المنازعات التى تقوم بين الافراد والحكومة فى المسائل المالية وله مبنى خاص يسمى "دفتر دار قابس" أى بوابة الدفترادر ، انظر : جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ١ص١٨٢- ١٨٣

٦٢- Ainslie to sect of state, Lo.c - cit.

٦٣- ذكر wood ان كثرة المستنفقات والاوحال وخاصة حول الموانىء ساعد على انتشار الاوبئة. أنظر : Wood, op - cit, P245.

٦٤- Ainslie to sect of state, 16 january 1785. Const, F-O

٦٥- Ainslie to sect of state, 10 january 1782, Const,

٦٦- Ainslie to sect of state, 4 september 1782, Const

٦٧- Ainslie to sect of state, 0 september 1782 Const,

٦٨- Ainslie to sect of state, 10 july 1783, Const,

٦٩- Ainslie to sect of state, Loc-cit, Const,

٧٠- Ainslie to sect of state, 25 august 1783, Const,

٧١- Ainslie to sect of state, 25 september 1783 Const,

٧٢- Wood, Op - cit, P 246

٧٣- Ainslie to sect of state, 10 july 1783, Const

٧٤- القبطان باشا هو القائد الاعلى للقوات البحرية العثمانية وهو بدرجة وزير ، وكان مسؤلا عن القواعد البحرية والمصانع البحرية وتحت يده عدد كبير من الضباط للاشراف على السفن وكان له ديوان شبيه بديوان حكام الولايات ويعقد جلساته فى مقره بالبحرية. انظر :

جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ١ ، ص، ١٤٨-١٥١.

اواخر القرن التاسع عشر بحصول رومانيا على استقلالها – انظر :
Kinross, Op-cit, PP.442-443.

٤٩- Ainslie to Sect of state, 20 January 1781, Const, in F-O.

٥٠- Ainslie to sect of state, 10 february 1782, Const in F-O.

٥١- كان البدو أو العربان يقومون بهجمات متكررة على قوافل الحجاج على الطرق البرية وكانوا يسرقون امتعة الحجاج وكثيرا ما كانوا يقتلونهم لذلك كان السلاطين يخصصون أموالا لاسترضاء زعمائهم وكانت ترسل مع امير الحجج المكلف بحراسة القافلة. أنظر : عبد العزيز الشناوى ، المرجع السابق ، جـ ٣ ، صـ ١٢٣١.

٥٢- Anislie to Sect of state, Lo-cit

عبد الكريم رافق ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٩.

٥٣- عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق ، صـ ٤٠ – ٤١.

٥٤- عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق ، نفس الصفحة.

٥٥- Ainslie to Sect of state, 10 june 1782, Const, in F-O.

عن قطاع الطرق واللصوص وغاراتهم فى الولايات العثمانية الاوروبية والاسيوية أنظر : Jonquiere, V,Histoire de L'Empire Ottoman, Pairs1881, PP 312-315

٥٦- Ainslie to Sect of state, 25 september 1782, Const, in F-O.

٥٧- عبد العزيز الشناوى ، المرجع السابق ، جـ٣ ، صـ ١٥٤٥.

٥٨- من السلاطين الذين اهتموا بالاصلاح العسكرى مصطفى الثالث (١٧٥٧ – ١٧٧٤) وقام باصلاحات واضحة فى البحرية العثمانية وسلاح المدفعية بمعاونة البارون دى توت ، والسلطان عبد الحميد الاول الذى استقدم الخبراء الاوربيين الى الدولة العثمانية بكثرة من اجل تنفيذ سياسة الاصلاحية – أنظر : ناهد ابراهيم دسوقى ، المرجع السابق ، القسم الثانى من الفصل الأول.

٥٩- Ainslie to Sect of state, 10 january 1785, Const, in F-O, 78/1/50

٦٠- Ainslie to sect of state, Loc-cit.

٦١- الدفتردار هو الشخصى المختص بحفظ الدفاتر والسجلات التى تبين موارد الخزينة العامة المنصرف منها والمحافظة على ما تبقى فيها وكيفية الحصول على موارد أخرى حين يطرأ عجز ، وكان تحت يده عدد من الموظفين ، وسكرتارية وله محكمة خاصة تفصل فى المنازعات التى تقوم بين الافراد والحكومة فى المسائل المالية وله مبنى خاص يسمى "دفتر دار قابس" أى بوابة الدفتر ادر ، انظر : جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ،ص١٨٢- ١٨٣

٦٢- Ainslie to sect of state, Lo.c - cit.

٦٣- ذكر wood ان كثرة المستنفقات والاوحال وخاصة حول الموانىء ساعد على انتشار الاوبئة. أنظر : Wood, op - cit, P245.

٦٤- Ainslie to sect of state, 16 january 1785, Const, F-O

٦٥- Ainslie to sect of state, 10 january 1782, Const,

٦٦- Ainslie to sect of state, 4 september 1782, Const

٦٧- Ainslie to sect of state, 0 september 1782 Const,

٦٨- Ainslie to sect of state, 10 july 1783, Const,

٦٩- Ainslie to sect of state, Loc-cit, Const,

٧٠- Ainslie to sect of state, 25 august 1783, Const,

٧١- Ainslie to sect of state, 25 september 1783 Const,

٧٢- Wood, Op - cit, P 246

٧٣- Ainslie to sect of state, 10 july 1783, Const

٧٤- القبطان باشا هو القائد الاعلى للقوات البحرية العثمانية وهو بدرجة وزير ، وكان مسؤلا عن القواعد البحرية والمصانع البحرية وتحت يده عدد كبير من الضباط للاشراف على السفن وكان له ديوان شبيه بديوان حكام الولايات ويعقد جلساته فى مقره بالبحرية. انظر :
جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ١ ، ص، ١٤٨-١٥١.

٧٥- Ainslie to set of state, 25 august 1783, Const

٧٦- Ainslie to sect of state, 10 October 1783, Const

٧٧- Ainslie to sect of state, 10 November 1783, Const

٧٨- الباب العالى The Sublime Porte هو سكن الصدر الاعظم وأسرته وحاشيته وكان فى ذات الوقت ديوانا عاما يقوم فيه كبار الموظفين بتصريف كل مهام باستثناء ما يتعلق بالشئون المالية. انظر :

جب ، بوون ، المرجع السابق ، جـ١ ، ص ١٦٢.

٧٩- Ainslie to sect of state, 4 April 1784, Const

٨٠- Ainslie to sect of state, 10 may 1784, Const

٨١- Ainslie to sect of state, 11 january 1784, Const

٨٢- تعد هذه مبالغة فى تقدير اعداد الوفيات وقد علق Anderson على ذلك. انظر :

Anderson, Op-cit, P327.

٨٣- Ainslie to sect of state, 25 august 1784, Const

٨٤- Wood, op-cit, PP 246 - 247

٨٥- Wood, Loc - cit.

٨٦- Ainslie to sect of state, 20 january 1783, Const

٨٧- Ainslie to sect of state, Loc - cit.

٨٨- Ainslie to sect of state, 24 May 1783, Const

٨٩- Ainslie to sect of state, 10 October 1784, Const

٩٠- Ainslie to sect of state, 10 February 1784 Const

٩١- الابراج السبعة هى عبارة عن قلعة تضم سبعة ابراج بناها السلطان سليمان الاول (١٥٢٠-١٥٦٦) فى استانبول وكان يخفى فيها كنوزة ، ثم تحولت فيما بعد الى سجن لمشاهير رجال السياسة العثمانية والقادة العسكرين والدبلوماسيين الاوروبيين اثناء الحروب مع الدولة العثمانية. انظر : Kinross, Op-cit, P398

٩٢- Ainslie to sect of state, 12 July 1783, Const

٩٣- Ainslie to sect of state, 24 July 1783, Const

٩٤- Ainslie to sect of state, Loc - Cit

٩٥- Wood, Op-cit, P 245

٩٦- Ainslie to sect of state, Loc - Cit,

٩٧- Ainslie to sect of state, 4 August 1784,

٩٨- Ainslie to sect of state, 6 august 1784,

٩٩- Ainslie to sect of state, 10 September 1784, Const

١٠٠- Ainslie to sect of state, Loc - Cit

١٠١- Ainslie to sect of state, 30 december 1784, Const

١٠٢- Ainslie to sect of state, 30 december 1784, Const

١٠٣- عبد الوهاب بكر ، المرجع السابق ، صـ ٤٥.

١٠٤- Ainslie to sect of state, 10 August 1784, Const

١٠٥- Ainslie to sect of state, 10 August 1784, Const

١٠٦- كان اغا الانكشارية شخصية بالغة الاهمية فهو بمثابة مدير للشرطة فى العاصمة ومسئول عن حماية الاملاك بها ، وكان عضوا بالديوان وكان مقدما على جميع الوزراء وكذلك على جميع القواد. انظر : جب ، بوون ، المرجع السابق ، حـ١ ، صـ ٨٩.

١٠٧- الجاوش باشى كان رئيسا للمراسم فى البلاط السلطانى وهو من اكبر موظفى الخدمة الخارجية فى القصر السلطانى ، وكان قائدا لفرق الجاويشيه الذين كانوا يحضرون جلسات محكمة السلطان لمراقبة تنفيذ الاحكام الصادرة ثم محكمة الصدر الاعظم واصبح نائبا لرئيس هذه المحكمة. انظر : جب ، بون ، المرجع ، السابق ، حـ١ ، صـ ١٦٩ - ١٧١.

١٠٨- Ainslie to sect of state, 6 August 1784, Const

١٠٩- Ainslie to sect of state, 26 August 1784, Const

١١٠- Ainslie to sect of state, 2 September 1784, Const

١١١- Ainslie to sect of state, 6 September 1784, Const

١١٢- Ainslie to sect of state, 10 September 1784, Const

١١٣- Ainslie to sect of state, 10 January 1784, Const

١١٤- Ainslie to sect of state, 10 January 1784, Const

١١٥- Ainslie to sect of state, 25 September 1784, Const حول اثر الازمات الاقتصادية فى مصر انظر: صلاح هريدى ، الاوبئة والازمات الاقتصادية فى مصر العثمانية (١٥١٧ - ١٧٩٨) ، القاهرة ١٩٩٣.

١١٦- Ainslie to sect of state, Loc - Cit

١١٧- تعد معاهدة كوتشوك قنيارجة حجر الزاوية فى العلاقات الروسية - العثمانية فقد اعترفت الدولة العثمانية فيها باستقلال شبه جزيرة القرم عنها وضمتها الامبراطورة كارتين الى روسيا بعد ذلك بتسع سنوات ، كما سمح لروسيا بانشاء قنصليات فى ممتلكات الدولة العثمانية واصبح لرعاياها حق التجارة فى املاك هذه الدولة ، كما اصبح من حق روسيا اقامة كنسية ارثوذكسية فى القسطنطينيه وسمح لرعاياها بالحج الى الارض المقدسة المسيحية التى تقع فى المملكات العثمانية - انظر :

عمر عبد العزيز ، تاريخ المشرف العربى ، صـ ١٢١ ، اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، صـ ٢٢٩.

١١٨- اسماعيل سرهنك ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٧.

١١٩- اسماعيل سرهنك ، نفس الصفحة.

١٢٠- Ainslie to sect of state, 26 Mars 1785 , Const

١٢١- Ainslie to sect of state, 10 September 1783, Const

١٢٢- Jonquiere, Op-cit, PP 310 - 315

١٢٣- Ainslie to sect of state, Loc - cit

١٢٤- اسماعيل سرهنك ، المرجع السابق ، صـ ٢٢٨ .

١٢٥- استولى العثمانيون على جزيرة رودس فى ١٥٢٣ وكان يسكنها فرسان القديس يوحنا بقايا الصليبيين وقد خيرهم السلطان سليمان القانونى بين البقاء أو الرحيل

أما البنادقة فقد بدأوا هجمات القرصنة على السفن العثمانية منذ أن استولى العثمانيون على جزيرة قبرص منهم فى ١٥٧٣.

أنظر : محمد فريد ، المرجع السابق ، صـ ١١٢ : Kinross, Op-cit, PP177, 179.

١٢٦- Ainslie to sect of state, 28 January 1784, Const

١٢٧- Ainslie to sect of state, 10 October 1784, Const

١٢٨- Ainslie to sect of state, 11 February 1783, Const

١٢٩- Ainslie to sect of state, 25 October 1783, Const

١٣٠- Ainslie to sect of state, 4 April 1785, Const

مصادر البحث

أولا : وثائق غير منشورة :

- Public Record Office, Foreign Office, London.
  F.O.Turkey 78 1-50 from 1780 to 1806.
- Letters and papers of sir Robert Ainslie at Constantinsple from january 11th 1781 to december 1781.
- Letters and papers of sir Robert Ainstie from January 1782 to december 1782.
- Letter and papers of sir Robert Ainslie from January 1783 the decembner 1783.
- Letters and papers of sir Robert Ainslie from january 1784 december 1784.
- Letters and papers of sir Robert Ainslie from January 1785 to december 1785.

ثانيا : المراجع العربية :

- اسماعيل سرهنك ، تاريخ الدولة العثمانية ، بيروت ١٩٨٨.
- حسين مجيب المصرى ، معجم الدولة العثمانية ، القاهرة ١٩٨٧.
- صلاح هريدى ، الاوبئة والازمات الاقتصادية فى مصر العثمانية (١٥١٧-١٧٩٨) القاهرة ١٩٩٣.
- عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٨٢.
- عبد الكريم رافق ، بلاد الشام ومصر من الفتح العثمانى الى حملة نابليون بونابرت (١٥١٦ - ١٧٩٨) .
- عمر عبد العزيز عمر ، تاريخ المشرق العربى (١٥١٦ - ١٩٢٢) ، الاسكندرية ١٩٩٤.

- عمر عبدالعزيز عمر ، تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧ - ١٩١٩) ، الاسكندرية ١٩٩٣.
- كارل بروكلمان ، الاتراك العثمانيون وحضارتهم ، ترجمة د. نبيه فارس ، منير البلبكي ، بيروت ١٩٤٩.
- مارى ملز باتريك ، سلاطين بنى عثمان - صفحات من تاريخ تركيا الاجتماعى من السياسى والاسلامى ، ترجمة ؟ بيروت ١٩٨٦.
- محمد فريد ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، بيروت ١٩٨٨.
- محمود رئيف افندى ، التنظيمات الجديدة فى الدولة العثمانية ، عربه وحققه د.خالد زيادة ، لبنان ١٩٨٥.
- ناهد ابراهيم دسوقى ، محاولات الاصلاح فى عهد السلطان سليم الثالث واثر الغرب الاوروبى فيها (١٧٨٩ - ١٨٠٧) رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، جامعة الاسكندرية ١٩٨١.
- هاملتون جب ، هارولد بوون ، المجتمع الاسلامى والغرب ، جزءان ، ترجمة د.أحمد عبد الرحيم مصطفى ، القاهرة ١٩٧٠.

ثالثا : المراجع الأجنبية :

- Anderson, M.S, Europe in the Eighteeth Century, London, 1987.
- Inalcik, Habil, The Turkish Inpact on the Development of Modem Europe, edited in : Kemal Karpat "The Ottoman state and its place in world History "London, 1974".
- Issawi, Charles, Th Ottoman Empire in the European Economy, edite by Kemal Karpat, London 1974.
- Itzkowitz, Norman, Ottoman Empire and its Islamic Tradition, Chicago 1980.
- Jonquiere, V, Histoire de L'Empire Ottoman, Pairs 1881.
- Karpat, Kemal, The stages of ottoman History, Leiden 1974.

- Kinross, Lord, The ottoman Centuries, New York 1977.
- Kurmus, Orhan, the Cotton Famine and its Effectson the Ottoman Empire, london 1987.
- Huri, Islam aglu, the ottoman Empire and the world Economy, London 1987.
- Lewis, Bennard, the Emergence of Modern Turkey, Britiain, 1962.
- Sunar, Ulkay, State and Economy in the ottoman Empire, edited in Huri Islamoglu, London 1987.
- Wallerstain, Immanual The Incorporation of the ottoman Empire into world Economy, edited in Huri Islamoglu, London 1987.
- Woodl, Alfred, A History of the Levant Company, London 1964.

رابعا : دوائر المعارف والمعاجم :

- Dictionary of National Biography, Vol I, London 1917.
- Encyclopedi de L'Islam, Tome II, Leyde 1927.
- Nouveau Petit Larousse, Paris, 1975.